عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-011 (DOI)

المقاومة الثقافية والإعلامية للنخبة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في الخارج(تونس أنموذجا) 1954 .1962 م

The cultural and media resistance of the Algerian elite against the French colonialism abroad(Tunisia as a model) 1954 - 1962 AD

د/محمد سريج*
جامعة حسيبة بن بوعلي. الشلف. الجزائر
m_seridj@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/11/03 تاريخ المراجعة: 2021/11/15 تاريخ القبول:2022/01/06

الملخص:

عرفت تونس حركة فكرية وأدبية وصحفية كبيرة، مما سهل على النخبة الجزائرية العمل، بل والمساهمة الفعالة ضمن عديد الصحف منها: جريدة الصباح والعمل والاستقلال، ومجلة الفكر وغيرها، فذهبوا إلى تونس فرادى وجماعات منهم الكتاب والأدباء والصحافيون والفنانون والقصاصون والطلبة الممثلون بشكل خاص في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أيضا ساهموا بقسط كبير في العمل الثقافي الذي كان جد مرتبط بالعمل السياسي، من هؤلاء نجد: يحي بوعزيز، مصطفى الأشرف، صالح خرفي، مفدي زكريا، محمد الصالح

د/محمد سريج، كلية العلوم الإنسانية جامعة حسيبة بن بوعلي. الشلف/ الجزائر،

الصديق ،عبد الله ركيبي، أبو العيد دودو، وغيرهم، ساهموا في التعريف بالثورة الجزائرية والتنديد بممارسات الاستعمار الفرنسي والإشادة بالثورة ..

الكلمات المفتاحية: المقاومة، الثقافة، الإعلام، النخبة، تونس، الصحف، الاستعمار، الثورة .

Abstract :

Tunisia knew a great intellectual, literary and journalistic movement, which made it easier for the Algerian elite to work, and even actively participate in many newspapers, including: Al-Sabah newspaper, Al-Aml and Al-Istiqlal, Al-Fikr magazine and others. They went to Tunisia individually and in groups, including writers ,journalists, artists, storytellers and student actors in particular the General Union of Algerian Muslim Students, they also contributed a great deal to the cultural work that was very related to political work, among them we find: Yahya Bouaziz, Mustafa Al-Ashraf, Saleh Kharfi, Mofdi Zakaria, Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq, Abdullah Rakibi, Abu Al-Eid Doudo, and others. They contributed to introducing the Algerian revolution, denouncing the practices of French colonialism, and praising the revolution.

Keywords: resistance,culture, media, elite, Tunisia, newspapers, colonialism, revolution.

مقدمة:

عمل الاستعمار الفرنسي منذ وجوده في الجزائر 1830 م على اتخاذ أساليب أقل ما يقال عنها أنها وحشية غير إنسانية، فعمل على تشريد الجزائريين وإفقارهم وتجويعهم وتجهيلهم، فحول المدارس إلى كنائس واتخذ من بعضها ثكنات عسكرية ومصحات طبية وأماكن للتعذيب وغيرها لا لشيء سوى ليبقى هذا الشعب يعيش الأمية، ويسهل سلب هويته التي وجده متمسكا بها أبا عن جد، في ظل هذه الظروف الصعبة دفع بفئة من الجزائريين ممن رغبوا في التعليم، ولو إلى اتخاذ سبيل الهجرة طريقا لهم حتى يستدركوا ما فعله بهم أو بغيرهم المستعمر، سيما وأن تفاعلات الحركة

الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية كانت حبلى بالكثير من الأحداث التي تنبئ عن تبلور جديد في الوعي الوطني والحركة الوطنية، وأغلب هاته الفئة جعلت من تونس وجهتها المفضلة ووجود بعثات طلابية في جامع الزيتونة(تعليق رقم 1) ومدرسة الصادقية(تعليق رقم 02)، هذه الفئة اعتبرت نفسها في خندق المقاومة من نوع آخر إنها المقاومة الثقافية التي واكبت الثورة التحريرية وعليه فالإشكالية التي نود الإجابة عنها هي:

ما هي الأقلام التي كتبت عن الثورة الجزائرية في الخارج وتحديدا في تونس؟ وما مجالات كتاباتها؟ وهل استطاعت أن تحقق مبدأ المقاومة الثقافية ضد الاستعمار الفرنسي ؟

1 / عوامل هجرة النخبة الجزائرية إلى تونس أثناء الثورة التحريرية وأهم الأقلام التي برزت هناك:

1-1/ عوامل هجرة النخبة الجزائرية إلى تونس أثناء الثورة .

مما لا شك فيه أن تونس كانت متنفس المثقفين الجزائريين خاصة مع انطلاق الثورة المسلحة التي فجرت مواهب النخبة الجزائرية وفتحت أمامهم آفاقا واسعة ورحبة وفجرت فيهم الطاقة الكامنة والحيوية من خلال أحداثها ومعاركها الكبرى وأنواع البطولة والشجاعة التي كان يبديها أفراد جيش التحرير الوطني ومن صمود الشعب الجزائري وتضحياته الجسيمة وتعرضه لكل أنواع التقتيل والتعذيب والتشريد في سبيل الحرية وما صحب ذلك من أحداث وتطورات سياسية وتغيرات جذرية في الأفكار والاتجاهات سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فهذا المناخ الثوري التحرري كان من العوامل الأساسية التي بعثت الحركة الأدبية وأخرجها من الركود الذي كانت تعج فيه قبل 1954، شجعتها في ذلك عدة عوامل منها:

- انضمام جميع القوى السياسية والوطنية، أحزابا وطلابا ونقابات، تحت لواء جبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب والثورة وتفهم الساسة التونسيين لظروف الجزائريين والاقتراب منهم لاقتراب أكثر من جبهة التحرير الوطني ومساعدتها حتى لا تكون مادة خصبة لتأثير الفكر القومي الناصري والشيوعية وأنصار صالح بن يوسف،

بالإضافة إلى وجود عدد كبير من التونسيين الذين ينحدرون من أصول جزائرية يتعاطفون مع الثورة.

- تعاون وتعاطف عدد من السياسيين والمثقفين التونسيين في الحزب الدستوري التونسي الجديد وفي جامع الزيتونة وفي الصحافة.

- مشاركة عدد من الجزائريين في تحرير بعض الصحف والمجلات التونسية.

- الدعم والتشجيع الذي كانت تقدمه جبهة التحرير الوطني للأقلام الجزائرية بتونس من أجل المساهمة في المعركة المصيرية التي تقودها جبهة التحرير الوطني والشعب الجزائري ضد الاستعمار.

1-2/ الأقلام التي كتبت عن الثورة الجزائرية في تونس:

عرفت تونس حركة فكرية وأدبية وصحفية كبيرة منذ فترة بعيدة تعود إلى 1860 م، مما سهل على النخبة الجزائرية العمل، بل والمساهمة الفعالة ضمن عديد الصحف منها: جريدة الصباح(التعليق رقم 03) وجريدة العمل(التعليق رقم 04) وجريدة الاستقلال (التعليق رقم 05) ومجلة الفكر (التعليق رقم 06) غيرها التي كانت تعج بها تونس، فتهافت الجزائريين وحبهم للعلم والمعرفة وتطلعهم لجزائر الغد، جعلهم يذهبون إلى تونس فرادى وجماعات منهم الكتاب والأدباء والصحافيون والفنانون والقصاصون والطلبة الممثلون بشكل خاص في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أيضا ساهموا بقسط كبير في العمل الثقافي الذي كان جد مرتبط بالعمل السياسي.

إن المتتبع لكتابات هاته الفئة أنها كانت تنتمي لبعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جامع الزيتونة للدراسة، أو فئة أخرى يمكن اعتبارها مستقلة جعلت من مدرسة الصادقية أيضا وسيلة لنهل منابع العلم والمعرفة وبداية العمل النضالي من خلال الكتابات المختلفة وهؤلاء الطلاب متشبعين بالثقافة العربية الإسلامية ومشحونين بالوطنية ومستعدين للتغيير، فلما اندلعت الثورة فكانت الشرارة التي

فجرت فيهم طاقة الإبداع، فانطلقت أقلامهم ترسم وجه الثورة المشرق، وتبرز ملامح الكفاح والتحدي ومن أبرز هؤلاء نجد :

أ-الكتاب الصحفيون :

-**يحي بوعزيز:** من مواليد الجعافرة بولاية برج بوعريريج، درس بالكتاب ثم في زاوية الحاج حسن الطرابلسي بعنابة، وفي جامع الزيتونة حصل على شهادة التحصيل سنة 1956، انتقل عام 1957 إلى القاهرة تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ كتب في الصحافة التونسية عن القضية الوطنية وانخرط في صفوف الحركة الوطنية وجمعية الطالبة الزيتونيين، بعد الاستقلال عمل في قطاع التعليم وواصل دراسته الجامعية ليصبح أستاذا بجامعة وهران إلى غاية تقاعده منها عام 1996، توفي عام 2007 وله عدة مؤلفات ومقالات تاريخية(عصام، وآخرون، 1997: 131) وأيضا (مقلاتي، ع، 2008.: 167)

.**مصطفى الاشرف:** ولد مصطفى الاشرف في 07 مارس 1917 بسيدي عيسى ولاية المسيلة، كان أبوه قاضيا في المحاكم الإسلامية تابع دراسته الثانوية في الجزائر العاصمة والعليا بالثعالبية والسوربون، درّس بثانوية مستغانم ثم بالثانوية "لوي لو غران" بباريس، انخرط في حزب الشعب الجزائري، ونشر مقالات في صحافتها السرية(البرلمان الجزائري، العامل الجزائري) وواصل نفس النشاطات الصحفية في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، تولى في نوفمبر 1946 أمانة المجموعة البرلمانية لهذا الحزب، غادر فيما بعد هذه المهام، كما غادر اللجنة التنفيذية لفدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ليناضل في صفوف القاعدة، ويكتب في صحافة هذه التشكيلة السياسية ويتولى مهام رئيس تحرير لإحدى جرائده الصادرة في باريس» النجم الجزائري"، التحق بجبهة التحرير منذ البداية وعمل في قطاع الاتصالات والمهام السياسية وقطاع الدعاية والإعلام كان ضمن رحلة بن بلة ورفاقه الذين اعتقلوا خلال عملية قرصنة جوية يوم 1956/10/22، سجن لما يقرب من خمس سنوات فرضت عليه الإقامة الجبرية لأسباب صحية، وفر إلى الخارج، شارك في 1962 في إعداد برنامج طرابلس وكلف بقراءته أمام المؤتمرين أثناء الاجتماع الأخير للمجلس الوطني للثورة

الجزائري الذي كان عضوا فيه، تولى فيما بعد رئاسة تحرير الأسبوعية الوطنية باللغة الفرنسية المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني إلى غاية نهاية سبتمبر 1962، عين سفيرا ثم وزيرا بعد الاستقلال، ألف الاشرف العديد من الكتب تتعلق بالوطنية الجزائرية والتاريخ والهوية والثقافة من مؤلفاته: أغاني الفتيات العربيات طبعة سبقر 1953، الجزائر: الأمة والمجتمع طبعة ماسبيرو 1965، الجزائر والعالم والثالث: الاعتداءات المقاومات والتضامن الدولي طبعة بوشان الجزائر 1989، أدبيات كفاحية طبعة بوشان الجزائر 1991، مذكرات حول الأماكن والأسماء، طبعة القصبة 1999، كتابات تعليمية حول الثقافة التاريخ والمجتمع، طبع المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ،الجزائر، 1988. توفي مصطفى الأشرف في 13 جانفي 2007 م (شرفي، ع، 2007: 295. 296)

- **محمد الصالح الصديق**: الأستاذ محمد الصالح الصديق من مواليد 1925/12/19 بتيزي وزو، حفظ القران الكريم ثم التحق بجامع الزيتونة من 1947 إلى 1951، كتب في صحيفة الطالب الزيتوني، وساهم في جريدة. الاستقلال ومجلة الشباب، التحق بالثورة علنا سنة 1957، عين مسئول الإعلام الثوري في لبيا من 1958 إلى الاستقلال بعدها عاد إلى التعليم وأنتج عدة برامج في الإذاعة الوطنية والتلفزيون من 1968 إلى 1997 له عدة مؤلفات تفوق المائة منها أدب التحصيل ومقاصد القرآن ومن بطولة الجزائر (سريج، م، 2015 : 05)

ب .الأدباء(الشعراء والقصّاصون):

-**مفدي زكرياء**: من مواليد 1908/04/12 بقرية بني يزقن جنوب الجزائر، تلقى التعليم الابتدائي بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى الزيتونة، بدأ نشاطه السياسي في سلك الشبيبة الدستورية عام 1922، ثم في نجم شمال إفريقيا عام 1926 ثم في حزب الشعب الجزائري، سجن سنة 1937 بتهمة التآمر على النظام، ولما أطلق سراحه انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وفي أفريل 1955 ألف النشيد الوطني، أعيد إلى السجن في 1955/04/12، قضى ثلاث سنوات متنقلا بين السجون وبعد الإفراج عنه انتقل إلى

تونس وعمل صحفيا في جريدة المجاهد، بعد الاستقلال فضل الاشتغال بالتجارة وواصل نظم الشعر فارج لنا رائعة إلياذة الجزائر ثم اختار تونس منفى له، وبقي هناك حتى توفي إثر سكتة قلبية يوم 1977/08/17، من مؤلفاته» اللهب المقدس" وغيرها (مقلاتي، ع، 2007: 493. 494)

-**عبد الله الركيبي**: ولد في بسكرة عام 1928، زاول تعليمه الابتدائي في الجزائر، ثم انتقل إلى تونس،، تخرج منها سنة 1954، شارك في جبهة التحرير الوطني مناضلا ومسئولا، اعتقل في آفلو لمدة أحد عشر شهرا وأرغم على الإقامة الجبرية في بسكرة،، فر منها والتحق بالأوراس ثم إلى تونس وعمل موظفا بالمدرسة الصادقية ،نال شهادة الليسانس من القاهرة عام 1964 والماجيستير عام 1967و الدكتوراه في الأدب عام 1972 اشتغل في لحقل السياسي منها سفير في سوريا 1994 و1969 وعضو مجلس الأمة 1998 2000، له عدة مساهمات في الجرائد التونسية منها الصباح ومجلة الفكر، طبع له كتاب في تونس» مصرع الطغاة 1959، وفي سنة 1962، أصدر مجموعة قصصية بعنوان» النفوس الثائرة"« حد العدم "و في سنة 1969 أصدر كتاب» القصة القصيرة في الأدب الجزائري الحديث، وكتاب الاوراس في الشعر العربي في القاهرة وتآليف أخرى، توفي يوم 2011/04/19 (شرفي، ع، 2008: 161)

- **صالح خرفي**: شاعر جزائري ولد بالقرارة بغرداية عام 1932، التحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1938، أكمل دراسته الابتدائية ثم الثانوية، التحق سنة 1953 بجامعة الزيتونة والمدرسة الخلدونية بتونس التحق سنة 1957 بكلية الآداب بالقاهرة ونال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها سنة 1960، والماجيستير سنة 1966 والدكتوراه سنة 1970، شارك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات الوطنية والدولية تقلد عدة مسؤوليات ذات الطابع الثقافي توفي في 1998/11/23 له دواوين شعرية منها: أطلس المعجزات 1967 وشعراء من الجزائر 1969 صفحات من الجزائر 1974 الشعر الجزائري الحديث 1975 وسنة 1978 أصدر ديوان الجزائر والأصالة

الثورية وسنة 1982 أصدر شعر المقاومة الجزائرية وغيرها من المؤلفات (شرفي، ع، 2008: 149. 150)

- **الطاهروطار**: من مواليد 1936/08/15، بضواحي سدراتة، درس بمعهد عبد الحميد بن باديس وجامع الزيتون حتى سنة 1956، التحق بالمنظمة المدنية لجبهة التحرير ثم عمل صحافيا، ورئيس تحرير، الذي ساهم في تحرير جريدة "الصباح". ومجلة "الفكر" من 1956 إلى 1962 تقلد عدة مناصب منها مديرا عاما للإذاعة الوطنية سنة 1990، رئيس الجمعية الثقافية الجاحظية، له عدة روايات مترجمة نشرها أثناء الثورة في جريدة الصباح والعمل وفي أسبوعية لواء البرلمان التونسي وأسبوعية النداء ومجلة الفكر التونسية أسس عام 1962 أسبوعية الأحرار بقسنطينة، وعام 1963 أسبوعية الجماهير وسنة 1973، أسس أسبوعية الشعب الثقافي، له مجموعة قصصية منها دخان من قلبي تونس 1961، الشهداء يعودون هذا الأسبوع 1971، والروايات له:» اللاز 1974 ترجم عرس بغل 1983 وغيرها من عشرات الأعمال توفي يوم 2010/08/12 (شرفي، ع، 2008: 329. 331)

. **عبد الحميد بن هدوقة**: كاتب وروائي، ولد بالمنصورة برج بوعريريج في 1925/01/09، درس في المدرسة الابتدائية ثم الكتانية في قسنطينة وفي 1949، سافر إلى مرسيليا وحصل على شهادة الإخراج الإذاعي بالفرنسية ثم رجع إلى الكتانية ودرس بها، ثم ذهب إلى تونس نال الشهادة العالمية في الأدب من الزيتونة، ساهم في النشاط الإذاعي ومجلة الإذاعة، تقلد عدة مناصب منها مدير المؤسسة الوطنية للكتاب، ورئيس المجلس الأعلى للثقافة وعضو المجلس الاستشاري الوطني، له أعمال عديدة منها ريح الجنوب ورواية نهاية الأمس، وبان الصبح، ترك العديد من المجموعات القصصية، توفي يوم 26 أكتوبر 1996 عن عمر ناهز 71 سنة (الجابري، م، ص، 1984: 23)

. **أبو العيد دودو**: ولد سنة 1934 في جيجل، تعلم القران الكريم عام 1937، ثم غادره لظروف عائلية، وبعد الحرب العالمية الثانية سجل في الابتدائية، ثم التحق بمعهد بن باديس بقسنطينة ومكث أربع سنوات ليلتحق بجامع الزيتونة، وبعد سنة منحته جمعية

العلماء منحة إلى العراق عام 1952 للدراسة في دار المعلمين ببغداد وبقي فيها أربع سنوات ونال شهادة الليسانس في الأدب العربي، ثم توجه إلى النمسا سنة 1956 والتحق بالمعهد الشرقي بفيينا وبقي إلى غاية 1961 فتحصل منها على دكتوراه سنة 1961، درّس هناك في جامعات ومعاهد عدة وعاد عام 1968 إلى الجزائر والتحق عام 1969 بكلية الآداب بجامعة الجزائر وبقي مرتبطا بها حتى رحيله يوم 2004/01/15 م، ترجم بعضا ما كتبه الألمان عن الجزائر منها: القصة الأولى الثلاثية التي كتبها "مالتسان "عن الجزائر في القرن التاسع عشر، وكتابه» الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان الذي صدر سنة 1975 م او ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، أو قسنطينة أيام "أحمد باي» "لشلوصر"، كما ترجم من اللغة اللاتنية رواية» الحمار الذهبي" لابن مداوروش الأديب والفيلسوف "ابوليوس لوكيوس"، كما ألف بحيرة الزيتون قصص الجزائر 1967 والتراب مسرحية 1968 دار الثلاثية قصص 1971 البشير مسرحية 1981 الطريق الفضي 1981 الطعام والعيون قصص 1968 كتب وشخصيات دراسة 1971 وغيرها (شرفي، ع، 2008: 157. 159)

- **صالح خباشة**: شاعر، اسمه الكامل صالح بن بابا بكير خباشة ولد في 1933/05/16 في القرارة(غرداية)، زاول تعليمه الابتدائي في مدرسة الحياة، ثم التحق بمعهد الحياة لمزاولة التعليم الاكمالي في نفس المدينة، وفي سنة 1954 أرسل إلى تونس لمتابعة دروس بجامع الزيتونة ونال شهادة التحصيل البكالوريا سنة 1957، أرسل إلى بغداد ضمن بعثة جبهة التحرير الوطني وتخرج منها سنة 1961 بشهادة البكالوريوس في اللغة وآدابها، كان يكتب الشعر في الصحف التونسية والعراقية باسم ابن بابا صالح الجزائري، بعد الاستقلال التحق بالتعليم وبقي إلى أن تقاعد سنة 1991، له العديد من المجموعات الشعرية منها:» الروابي الحمر» 1982، توفي في 2016/09/16 عن عمر ناهز 86 سنة (شرفي، ع، 2008: 148)

-**الحبيب بناسي**: ولد في 1928/12/13 بمشرية(ولاية النعامة حاليا)، مناضل في حزب الشعب الجزائري خلال اندلاع الثورة نشر العديد من المقالات بتونس يشرح فيها أهمية

الثورة وإشعاعها، كلف من قبل جبهة التحرير الوطني بتشكيل خلايا ثورية داخل المدن في مدينة بلعباس، استشهد سنة 1956 بمدينة تلاغ في ساحة الوغى استشهد والبندقية في يده يوم 1956/12/15 عن عمر 28 سنة، استشهد وترك لنا نصا سرديا عنوانه صرخة القلب (شرفي، ع، 2008: 98. 99)

هم كتاب وصحافيون وأدباء وقصاصون كثر منهم: الجنيدي خليفة، أبو القاسم سعد الله، بوروح أحمد ،عبد الله شريط، عبد القادر السائحي، محمد ديب، محمد الأخضر السائحي، عبد الحق شريط والعديد من الأسماء التي تبدو مغمورة أو كانت تكتب بأسماء مستعارة منهم :، محمد مخلوفي الجزائري، عبد السلام الجزائري، محمد الصالح بن ترعة، سالم ضيف، محمد عبد الله التواتي. كريم محمد، عبد الحميد بن علي القسنطيني، الصادق الحفناوي، أبو زيد عدنان وبعضهم يكتفي بكتابة الاسم فقط مثل: رحيم، مليكة، عيسى...منهم من يتسع المقام لذكر بعض أعمالهم ومنهم من لا يتسع لمحدودية العمل.

هذه الفئة تختلف في العطاء الفكري الكمي والنوعي فالبعض لم ينشر بتونس طوال الثورة لطبيعة عمله في بلدان أخرى سوى عملا واحدا منهم: نعيم النعيمي، كما أن بعضهم توقف عن الكتابة سنة 1957 كعبد الله شريط ليعمل في مهام أخرى، بينما توقف عبد الله الركيبي والجنيدي خليفة وأحمد بوروح بين سنتي 1958 و1959، ومنهم من عاد إلى الجزائر ليستشهد في ميدان الوغى منهم الحبيب بناسي الذي عاد في فيفري 1957 واستشهد في سنة 1959.

2/ أنواع المساهمات الثقافية للنخبة الجزائرية في تونس إبان الثورة التحريرية التحريرية 1956- 1962 م:

نبغ العديد من الأدباء والصحافيين والكتاب في مجالات عدة، وإن اختلفت مجالاتها(تعليق رقم 07) إلا أن الهدف كان واحدا وهو خدمة الثورة ومقاومة الاستعمار ثقافيا وفكريا، ولعل أبرز المواضيع التي برز فيها هؤلاء نجد من التنديد بالاستعمار وممارساته القمعية في حق الجزائريين والإشادة ببطولة الشعب الجزائري أمام جحافل

الاستعمار، كما كان للمرأة نصيب من اهتمامات النخبة الجزائرية هناك، ودور الشباب في التعبئة ومعاناة اللاجئين الجزائريين أيضا، وأخيرا إبراز دور أدب النضال في الثورة.

هي أعمال عديدة لا يمكن حصرها في مقال، وإنما نعرض بعضا منها على سبيل الذكر لا الحصر مركزا على بعض العناوين التي لها صلة مباشرة بالثورة الجزائرية وأحداثها، ومما تجدر الإشارة إليه، أنني حاولت تنظيم المقال وفق الموضوعات وليس وفق الفنون الأدبية بحكم أن كل فن من الفنون يشمل عدة مواضيع:

2-1/ أساليب الاستعمار الوحشية في حق الجزائريين :

أ-ضرب الاستعمار الفرنسي للثقافة العربية في الجزائر:

مما لا شك فيه أن الاستعمار ومنذ أن وطئت أقدامه الجزائر عام 1830، شرع في ممارسة أبشع العمليات والأساليب غير الإنسانية ضد الجزائريين لإنجاح مشروعه الاستيطاني، وعليه سخر كامل إمكانياته في سبيل تحقيق ذلك من قتل وتدمير بشر إلى محاولته مسخ الهوية الجزائرية والقضاء عليها من اللغة والدين والتاريخ والإرث الحضاري للأمة الجزائرية التي بقيت محافظة عليه لقرون من الزمن، وفي هذا الإطار يذكر الكاتب والمؤرخ الجزائري» يحي بوعزيز"، في مقال له كتبه في جريدة "الصباح" ونحن قاب قوسين أو أدنى من الاستقلال شخّص فيه أثر الاستعمار الفرنسي على الجانب التعليمي في الجزائر إبّان الحقبة الاستعمارية يقول :"...أما وضع الثقافة العربية في الجزائر اليوم فموضوع شائك جدا بسبب السياسة الاستعمارية الرعناء سياسة التعصب الثقافي التي سلكها ويسلكها الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ الاحتلال وأن الاستعمار أول ما عمل وضع يده على كل معالم الثقافة من معاهد ومدارس ومنها المساجد ثم حول معظمها إلى كنائس وثكنات وأوكل أمرها إلى أناس انتهازيين ".(بوعزيز،ي، 1962: 04) ويضيف :" لقد بلغ من حماقة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وبغضه للثقافة العربية أن صار يتتبع الجزائريين في كل مكان سعيا منه إلى عدم امتلاكه لثقافته العربية الإسلامية منها أن الشخص الذي يشاهد حاملا لجريدة عربية أو كتاب عربي يستهدف بمراقبة الجواسيس الذين لا يعدمون وسيلة في النهاية لاقتياده إلى

السجن بسبب أو بآخر ليقضي فيه عاما أو عامين أو ثلاثة، أما عن فتح المدارس العربية فعقابها السجن والإشغال الشاقة مدى الحياة غالبا لكبر الجريمة والشخص الذي لا يحسن الفرنسية تضيع مصالحه في الإدارات وسط الإهانات والتسويف.

ولتصوير مدى الحقد والكراهية التي يكنها الاستعمار الفرنسي للثقافة العربية وحامليها بالجزائر، أورد ما قاله بعض الفرنسيين أنفسهم :" إن تدريس العربية نوع من أنواع الاضطهاد العنصري الممقوت لأنه يفرض التعريب على بلاد الجزائر...و أصدر مفتشو التعليم الابتدائي الفرنسيين في 05 مارس سنة 1954 ما يلي :" العربية العامية أهميتها لا تتعدى كونها لهجة محلية والعربية الفصحى تعتبر لغة ميتة والعربية الحديثة لغة أجنبية بالنسبة للبلاد، ولهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون من المواد المقر تعليمها إجباريا بالمدارس الابتدائية.."(بوعزيز،ي، 1962: 04)

هكذا ينظر الاستعمار الفرنسي إلى لغتنا العربية التي بواسطتها تعلم هو المدنية هكذا يعترها لغة ميتة وأجنبية عن قطر عربي عزيز من أجزاء الوطن العربي هكذا يعتبر أن تدريس اللغة العربية في الجزائر يمنع تعريبها كأنها كانت قطعة فرنسية الأصل بل ويعتبر تعليمها نوع من الاضطهاد العنصري.

ثم انتقل إلى الحديث بلغة الأرقام مبينا مدى الفرق الشاسع بين ما يتعلمه الفرنسيون والأوربيون مقابل ما يتلقاه الجزائريون يقول :" في الجزائر عشرة ملايين نسمة من الجزائريين، نسبة التعليم فيهم 10 في المائة، مقابل 800 ألف فرنسي يتلقى أولادهم التعليم مائة في المائة مع وفرة كل الوسائل لهم...ففي خلال 72 عاما(1864. 1936) زاد عدد المدارس من 18 إلى 732 مدرسة، وزاد عدد الطلاب من 2700 إلى 80 ألف طالب في المراحل الابتدائية، نتيجة لذلك أصبح الوضع أن كل 200 ألف طالب أوربي لهم 1400 مدرسة واعتماد 339 مليون فرنك وأن كل 100 ألف جزائري لهم 699 مدرسة و88 مليون فرنك اعتمادا لها، وفي الجزائر العاصمة وحدها توجد جامعة واحدة، بها خمس كليات مجموع طلابها 5146، منهم 4589 أوربيا و557 جزائريا، وعليه فلإحصائيات تثبت أن هناك طالبا جامعيا واحدا أوربيا لكل 227 من السكان الأوربيين

في حين هناك طالبا جامعيا واحدا جزائريا لكل 15347 من السكان الجزائريين "و كان من المفروض أن يكون هناك 33 ألف طالب جزائري على اقل تقدير في الجامعة حسب هذه النسبة أما عن التعليم الفني يكاد يكون منعدما فالزراعة التي يشتغل بها 80 في المائة من الجزائريين لا تضم المدارس المتخصصة سوى 75 طالبا من مجموع 371 طالبا ".(بوعزيز،ي، 1962: 04)

هي صورة بسيطة عن حال الثقافة العربية المؤلم بالجزائر وعن موقف الاستعمار الفرنسي منها وأن الأرقام المبينة آنفا تدل دلالة قاطعة مدى الحقد والكراهية التي كان يكنها المستعمر إزاء الجزائريين مستهدفا التعليم الذي كان يرى فيه رمز التحرر والإنعتاق والوعي السياسي والاجتماعي، فعمل على التضييق على تدريس الجزائريين إلا لفئة ممن يحسبون عليه في الوقت الذي اهتم اهتماما مبالغا فيه في تعليم الفرنسيين والأوربيين، إنها منهجية اتبعها المستعمر في سبيل تحقيق الأهداف المسطرة وهي محاولته القضاء على الهوية الجزائرية واحتواء المجتمع الجزائري من خلال تجهيله.

الاستعمار الفرنسي وبقدر ما سخر آلته الحربية لقتل الجزائريين، وسجنهم وتشريدهم، لتنفيذ مخططه الرامي لتكريس منطق الاحتلال، عمد أيضا إلى التضييق على الجزائريين في ميدان التعليم، سعيا منه لتجهيلهم وإبقائهم بعيدين عن الوعي الذي يمكن أن يدفع فيهم روح الحمية والثورة، ولعل أبرزها إصداره لارمادة من القوانين التي تحد من تعليمه بل وتعاقب كل من تسوّل له نفسه فتح مدرسة دون رخصة، في الوقت الذي فتح فيه التعليم لأبناء الأوربيين واستفادوا منه كليا عبر جميع المراحل التعليمية.

ب- إفشال المقاومة ومصادرة الأراضي:

الكاتب والأديب والصحفي "مصطفى الاشرف" كانت له أيضا إسهامات في مجلة "الفكر" بتونس، شخّص فيها الكثير من المواد الفنية من قصة ومسرح ومقال تحدث فيها عن أوضاع الجزائريين إبان الفترة الاستعمارية، ومما أورده في أحدى المقالات(تعليق رقم 08)

:" أن المستعمر الفرنسي منذ دخوله ارض الجزائر تسبب في إفشال الثورات المسلحة وفي ضياع مئات الآلاف من الهكتارات من الأرض من أيدي أصحابها في سبيل تشجيع الاستيطان المستمر من قبل عنصر جديد من السكان الأجانب عن البلاد ويضيف :" هذه الحرب وهذه الثورات وما استتبعت من قمع والتي دامت منذ 1830 .1884 وبلغت أوجها من الشدة في سنوات 1845 و1849 م و1857 و1871 قد كان من نتائجها المباشرة شيئا اسمه التدمير ونتائج أخرى بعيدة هي خروج أملاك الشعب من يده (الاشرف، م، 1955: 13)

ج-استلاب الاستعمار لحرية الجزائريين:

الحرية كان لها جانب من اهتمام الشاعر صالح خرفي إذ بيّن الواقع الاستعماري الذي سلب الحريات للشعب الجزائري منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر يقول في مجلة الفكر ::" الحرية هي تلك العروسة الحسناء التي لم ينقطع تطلع الجزائري إليها منذ وطئت أرضه أقدام الاستعباد، وخنق الحريات منذ ما يزيد عن قرن وربع، مهرها الدماء والضحايا، هذه الغاية التي تستميت الجزائر اليوم في سبيلها، وتتحرق دماء وشوقا إلى استطلاع محياها ". (أنظر الملحق رقم 07) ويضيف :" فالحرية ميدان القتال هو أن البطل يملك زمام تلك الحرية فيرخيه أو يجذبه على حسب ما تمليه البطولة الذاتية لا خضوعها للقوة المفروضة من الخارج، فما دام الساعد أهلا لقبضة السيف وجد السيف أهل للإطاحة برأس عدوه، فتلك هي الحرية اللامتناهية» (خرفي، ص، 1962: 45)، وفي موضع آخر يقول: "...لم تزل الحرية مخنوقة الأنفاس منذ أن تسمم الجو بأنفاس المستبد الدخيل، وما فتئت ترزخ في قيود وسلاسل منذ أن سلط عليها إرهابه "، ثم يعود للثورة الفرنسية التي كثيرا ما يستأنس بها الفرنسيون على أنها جاءت بالحرية والأخوة والمساواة ولكن تبقى هذه الشعارات حبر على ورق إذا ما تعلق الأمر بشعب آخر غير الفرنسيين، والجزائريون هم نموذج لهذا يقول :" هذا المستعمر الذي لم يتجاوب مع

مبادئ الثورة الفرنسية التي تشدق بشرف الانتساب إليها ولا تسامحا منه مع الحرية المهيضة الجناح لتسلم شعثها فتعود إلى سابق عهد الانطلاق، كلا، ليس بهذا وذاك، ولكنها الخدعة الحربية "، كما وجه دعوة للشعب الجزائري بضرورة السير قدما نحو الحرية المنشودة التي طالما بحث عنها فالحرية تنتزع ولا توهب :"...و كانت الحرية في الجزائر متمثلة في الشعب المؤمن بها تستغل فترات التغاضي الاستعماري استغلال واسع النطاق، جلي المقاصد، مستميتة في استغلالها ذاك، مهما كلفها من متاعب، وجر عليها من تبعات» (خرفي، ص، 1962: 49)

هذه الحرية التي عاشت بين الألغاز والرموز تارة وبين الصراحة والإعلان تارة أخرى هي التي دفعت الجزائريين إلى ثورة أول نوفمبر 1954 يقول :" لقد انفتح للحرية الأفق على سعة أطرافه ليلة غرة نوفمبر 1954، فمدت جناحيها للانطلاقة الثورية الأسطورية التي مازلنا نعيش معجزاتها، وبرزت سافرة المحيا تعانق الثائر الذي لاحقها إلى القمم وستلاحقه اليوم إلى السهول والمدن والعواصم لتجد الميدان المتسع الذي يثار لماضيها المختنق "." (خرفي، ص، 1962: 50)

2-2/ الإشادة بالشعب الجزائري وبثورته المجيدة والدعوة للجهاد :

تناول عديد الكتاب والصحفيين والشعراء الجزائريين بالثورة الجزائرية وأشادوا ببطولة المجاهدين وبجموع الشعب الجزائري الذي احتضن ثورته رغم ما عاناه من ويلات الظلم والتنكيل، بل وراح البعض منهم يدعوه للجهاد ويستنهض فيه الهمم كالأستاذ محمد الصالح الصديق، الذي رأى أنه من واجبه توجيه نداء الهمة للمقاتلين ودفع فيهم روح الحمية للجهاد في خضم اشتداد المعارك بين جيش التحرير والاستدمار الفرنسي، سيما بعد مؤتمر الصومام 1956، ولشحذ الهمم وما أحوج رجال الثورة. آنذاك. لمثل هذه الكلمات التي تزيد الرجل همة، وتبعث في كيانه الحمية والنشاط، كتب مقالا عنونه بـ» إلى رجال التحرير" بحيث استهله بالآية الكريمة:» أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وأنّ الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن يقولوا ربّنا الله."(قرآن كريم، الحج:39، 40)

ولعل من يقرأ الآية بتمعن يدرك أن الأستاذ أراد أن يبعث برسالة إلى جيش التحرير مفادها، أن القتال مشروع بحكم الظلم الذي سلطه الاستعمار على المجاهدين وهم المظلومون، وأكد لهم بحكم الآية أن الله سينصرهم لا محالة، سيما وأنهم أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا، ولإقناع رجال التحرير .كما سمّاهم .بيّن في المقال: المبدأ السّامي للإسلام وهو أنه دين الرّحمة والمساواة والتآخي والسّلم قال تعالى :" يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السّلم كافة".(قرآن كريم، البقرة: 208)، ولكن لمّا يتمكّن القوي من رقبة الضّعيف ويستعبد النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فإن الإسلام لا يرضى بالسّلم مع العدوان، بل يأذن إذ ذاك بالقتال صونا للكرامة الإنسانية وحماية للدمار، ويبشّر الله الذي وعد به أهل الحق من عباده، ويضيف: "أيها المجاهد الجزائري، لقد أذن لك ربك بالقتال، لأنك ظلمت ظلما عظيما، ووعدك بالنصر المبين، لأنك على الحق وعدوك على باطل، فثرت ثورتك المباركة التي رفعت بها ذكر وطنك وبرهنت بها على بطولتك، وأكدت بها صحة نسبك .لأبطال الإسلام الخالدين .وانتزعت إعجاب العالم قاطبة بقوة إيمانك وصبرك، فلتواصل كفاحك المقدس حتى تفتك حريتك من أيدي الظالمين فأنت المنتصر بحول الله وأنّه على نصرك لقدير» (الصديق، م، ص، 1957: 01)

الثورة وبقدر حاجتها إلى رجال في الميدان، فهي أيضا بحاجة إلى مرشدين وواعظين حتى يحفزوهم على القتال، وهذا ليس بجديد، فحتى في الحروب التي خاضها المسلمون الأوائل ضد الكفار، كانوا يرسلون من لديهم القدرة على الخطاب المقنع، ليبعث الهمّة ويشحذ العزيمة في نفوس المجاهدين، والأستاذ محمد الصالح الصديق في مقاله هذا وجّه رسالة إلى مجاهدي جيش التحرير يحثهم فيها على القتال، لأنّهم على حق وعدوهم على باطل، مستدلا بآيات قرآنية دالة على صدق ما يقول.

من جهته الشاعر "مفدي زكريا" نظم قصيدة تحت عنوان "ملحمة الجزائر» مطولة من مائة واثنين وأربعين بيتا ضمنها إشادة بشهر نوفمبر الخالد وببسالة الشعب الجزائري ،بحيث راح يصف نوفمبر بأنه من المعجزات التي قل نظيرها في الفترة المعاصرة

بفضل الشعب الذي لم يفقد الأمل في قدرة الله في تغيير الوضع القائم، فأحب الشهادة في سبيل وطنه، اخترت منها هذه الأبيات:

تباركت شهرا بالخوارق طافحا... وسبحان من بالشعب في ليله أسرى
و لباك شعب كاد يفقد ظنه.....بوعدك لولا انه يحفظ الذكرا
و يقرأ في التنزيل عند صلاته.....بأنك بعد العسر تغمره يسرا
و أشربته حب الشهادة فارتمى.....على غمرات الموت تلهبه الذكرى

ثم ينتقل إلى مرحلة حكم» شارل ديغول"(تعليق رقم 09) الذي عاث في الأرض خرابا ويتهم هذا الأخير بأنه أضاع شرف فرنسا بسياسته الوحشية التي أحدثت الخراب والفوضى حتى شبهها بالسرطان الذي ينخر جسم الإنسان ليرديه قتيلا يقول:

فرنسا أضاعت رشدها يوم أسلمت.....قيادتها ديغول يحكمها قهرا
تدحرجه هستيريا الحكم للفنا.....و يدفعه مس الجنون إلى العسرى
خراب فوضى وانحلال وأزمة.....به سرطان الموت في دمها استشرى
(مفدي، ز، 1961: 06)

كما نظم قصيدة أخرى تحت عنوان» هنيئا بني أمي"، ضمنها أيضا الإشادة بالجزائر وشعبها يقول :

على نبضات الشعب وقعت ألحاني.... ومن نشوة التحرير لحنت أوزاني
و تيمني حب الجزائر فارتوى ..... نشيدي في الساحات من دمها القاني
و أحببت أوطاني رضيعا ولم أزل..... أغني مع الدنيا بأمجاد أوطاني
و همت بأبناء العروبة يافعا..... أرى كل أبناء العروبة إخواني (مفدي، ز، 1961: 06)

يتبين من خلال ما نظمه الشاعر "مفدي زكريا" مدى تعلقه وحبه للجزائر مشيدا بما قام به الأبطال من ثوره ضد الظلم، وظف فيها كلمات معبرة منها: الخوارق، بركان، نار، تطفح، الرعب، الذعر، تمني حب الجزائر، دمها القاني...، كما اقتبس بعض المعاني من القرآن الكريم لتقوية المعنى منها:» ليله أسرى "،» السبع الشدائد"، هذه

الإشادة ليست جديدة على شاعر يلقب بـ" شاعر الثورة" وهو الذي نظم فيها عشرات القصائد بقيت تردد وتتداولها الأجيال المختلفة على مرّ السنين.

من جهته الشاعر الجزائري "صالح خرفي" أشاد أيضا بالثورة الجزائرية وبشعبها البطل وبأول نوفمبر 1954 قائلا:

بايعت من بين الشهور نوفمبرا.....و رفعت منه لصوت يبقى منبرا

شهر المواقف والبطولة، قف بنا.....في مسمع الدنيا وسجل للورى

فلأنت مطلع فجرنا وزناد بر.....كان أثرت كمينه فتفجرا

دوت بمطلعك الخضيب رصاصة.....فاهتزت البيضاء(تعليق رقم 10)

وانتشت الذرا

يا إخوة الجبل الأشم لكم نداء.....رددته الونشريس وجرجرا

يا إخوة الوطن السليب لنا غد.....سيلوح ملتهب المطامح احمرا (خرفي،ص، 1962: 20)

و ينتقل أيضا للإشادة برجال التحرير في جبال الأطلس بحيث شبههم بالنسور الكاسرة التي تزحف في كل مكان، فهم المجد وهم الشعب وهم من يقرر المصير يقول:

أيها الزاحفون زحف المنايا....في ذرى الأطلس الأشم المصاير

يا نسور الجبال حدق منكم.....رابض في الثرى وحلق كاسر

انتم المجد والخلود وانتم.....مهرجان انطلاقنا والمنابر

انتم الشعب فاتقوا الله فيه.....من لشعب في دماكم مصاير (خرفي،ص، 1962: 06)

الشاعر صالح خرفي الذي يعتبر أيضا ممن سخّروا شعرهم الثوري للإشادة بالشعب وثورته، والقصيدة وإن لم يلتزم فيها الشاعر بالوزن والقافية مثلما هو متعارف عليه، إلا أن ما يهمه هو المعنى الذي يقدمه للقارئ، فالقصيدة دالة على مدى تعلقه ببلده الجزائر، بل ويؤكد أن الدماء التي تراق وتزهق يوميا لن تذهب هدرا، إنما سنسترجع بها أرضنا شبرا شبرا، فهي ثورة الأحرار، الأكثر من ذلك يوجه نداءه لفرنسا بأنها هي التي علمتنا كيف نثور؟ وكيف نقدم الشهداء؟

"الثورة الجزائرية عظيمة عظمة شعبها الأبي وعظمة جيشها الباسل، هذا الأخير سجل في حروبه الضروس انتصارات، وما زال يسجّل تاريخ المجد والظفر بدماء أبنائه الطاهرة الزكية إلى أن ينشق نور الحرية والنصر "، هذه العبارة ساقها الكاتب الجزائري المدعو" عبد الحميد بن علي القسنطيني "، يشيد فيها بكفاح الجيش الجزائري في معركتها التحريرية ضد العدو :" إنّ هذا الجيش المفعم إيمانا بالله وبالدين والوحدة والعزة والحرية نراه في ساحة الوغى يدافع دفاع الأسود صارخا هاتفا باسم الجزائر المسلمة والعروبة قاطبة "، ويضيف :"...فلم أستطع سوى أن أحني رأسي إعجابا وإيمانا بهؤلاء الجنود الأبطال الذين أحرزوا قصب السّبق في الكفاح المقدس "، واختتم مقاله بدعوة الشّعب الجزائري للتّحلي بالصّبر والصّمود أمام هذه الكارثة التي حلّت به قائلا :" اصبر إن الله وعد الصابرين خيرا ونصرا مبينا لك وسحقا وتبا للاستعمار وكتائبه المتوحشة القذرة". (بن علي القسنطيني، ع، 1956: 02)

من صور البطولة والفداء أيضا، الرسالة التي تقدم بها أحد الكتاب الجزائريين تحت اسم» **جزائري**" إلى أمّه، قدم فيها الكاتب مساهمة ضمّنها قصّة شعب يموت من أجل حرية بلاده ومن أجل حرية هؤلاء الأطفال، بيّن كيف أنّ أمّه في يوم من الأيام بكت خلسة عن الأب وناولته بندقيته قائلة :" كن شجاعا يا بني من أجل الجزائر...من أجل إخوتك الصغار.."، ورد عليها قائلا :" نحن سنذهب يا أماه، ستروي دماؤنا هذه الأرض مرّة، ولكننا سنطمئن إلى الصبر، مصير أولادنا مصير أمتنا، غدا سيرفع أبناؤنا جبينهم عاليا، يفاخرون بأمتهم بخلودها خلود جبالنا الساحرة الصامدة في وجوه المستعمرين، خلود جبال الأطلس القائمة على بركان من ثورة الأحرار... ويضيف :" لا تبكي يا أمي...لن تجمد الدمعة في عينيك... فنحن نموت يا أماه من أجل بلادنا...من أجل أبنائنا...من أجل الوجوه السّمر التي طالما غمرها التراب...و التي ستظل اليوم أبيّة ترتفع إلى العلا...تسخر من الاستعمار ومن أبناء الحضارة والمدنية(جزائري، 1959: 09)

هي قصة أيضا من عشرات من القصص التي تحكي واقع الجزائريين أثناء الثورة التحريرية ولولا هذا الكفاح ما كانت الجزائر لتحصل على الاستقلال لأنه في النهاية ضحى

الابن والأب وإلام والأخ والكل بنفسه وماله ووقته من أجل التحرر، هي رسالة من جندي جزائري مجهول، ولكن الكلام موجّه لعموم الجزائريين الجنود، الأم الشّهمة دعت الابن إلى ساحة الوغى، طالبة منه الجهاد في سبيل الله والوطن، فما كان منه سوى تلبية النداء كل ذلك في سبيل الأرض الطاهرة، في سبيل الأبناء أن يعيشوا غدا أفضل.

.في الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية، يطل علينا الشّاعر» صالح خباشة" الذي كثيرا ما يكتب تحت أسماء مستعارة بـ" ابن بابا صالح الجزائري"، بثلاث قصائد: الأولى بعنوان :" الشعب والثورة» والثانية تحت عنوان» الثورة في الخارج "، والثالثة بـ» النصر للحق" كلها لا تخرج عن إطار الإشادة بالثورة وبالشعب الجزائري، نشرها في جريدة "العمل" بتاريخ 1957/11/15، ولئن لم يحترم فيها معايير الكتابة الشعرية من وزن وقافية فرسالة الشاعر واضحة وهو التركيز على المعنى أكثر من المبنى، ومن بين هذه القصائد الثلاثة اخترت قصيدة "النصر للحق» التي جاء فيها:

إن تجنحي للسّلم نجنح للسّلا ..... م، ومن ترق له الحروب الدامية ؟

لكنك اخترت المدافع مركبا ..... فتربصي حتى تحل القاضية

نحن الملائك حين نرضى رحمة..... وإذا غضبنا مرة فزبانية

و جيوشكم، لا تستقر أمامنا ..... قوات ربّك حين تهدف رامية

سنشق هاتيك الليالي باللهب ..... فينجلي فخر الحياة الزاهية

الله أكبر فالجزائر حرّة ..... هذي المدافع بالثأر داوية .(ابن بابا، ص، 1959: 06)

الشاعر الجزائري "صالح خباشة" يخاطب فرنسا بأنها إن تجنح للسلم فالجزائر مسالمة، لكن مادام أنك اخترت المدافع فالجزائر بالمرصاد حتى النهاية، ثم ينتقل ليشيد بخصال الجزائريين، فهم شبههم بالملائكة في الرحمة وكالزبانية في العقاب وهو بهذ يقتبس من القرآن العظيم بعض المعاني لتقوية المعنى منها "الملائكة" و"الزبانية" و"القاضية "، ويؤكد في الأخير أن الجزائر .بإذن الله .تنتصر وتعلو كلمة الله أكبر.

المطلب الثالث: القتل والتشريد يوميات الجزائريين:

الأديب والقاص "الطاهر وطار"، كانت له عدة إسهامات في الصحافة التونسية أثناء الثورة، فوظف القصة ضمن أدب الثورة، وهو بهذا يكون قد ساهم من زاويته الأدبية في تشخيص مساوئ الاستعمار مبيّنا مدى ارتباطه ببلده وثورته عاطفيا، هي أعمال كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر القصة القصيرة التي عنونها بـ" الدموع الخالدة" في جريدة "الصباح" التونسية، هي قصة واقعية حدثت أثناء الثورة التحريرية قصّها عليه أحد أصدقائه فأعاد نسجها تعميما للفائدة، مضمونها أن قرية "مداوروش" بسوق أهراس حدث بها وأن عرفت قتلى للعديد من ساكنيها من قبل سلطات الاستعمار، فرمى بها في مقابر جماعية، الأمر الذي جعلها محجّا للكلاب الضالة، ومما حدث أن أحد الكلاب نبش حتى أخرج جثة ميت، وبدأ ينهش فيها حتى أكمل أغلبها أمام مرأى المواطنين، الأمر الذي أدى بإمام المسجد إلى إحضار جموع المصلين بعد صلاة المغرب، ونادى فيهم مستنكرا هذا العمل الشنيع :"....بلغني يا إخوان أنّ كلبا أسودا أخذ اليوم يحفر الأرض وينبش حتى أخرج جثة فلان....و قد أكل الكلب جلّ وجه الميت..."، هؤلاء القتلى هم من دواوير المنطقة، ومنهم حتى من قسنطينة جاءت بهم فرنسا وهم اثنا عشر رجلا ألقي عليهم القبض انتقاما لهم مما خسرته فرنسا من معارك في ذلك الوقت، وما كان من سكان مداوروش سوى البحث عن الجثث وإخراجها، وبكى كلهم لحال هؤلاء وأعادوا دفن رفاتهم مكرمين منصرفين والدموع تنهمر من أعينهم. (وطار، ط، 1956: 03) إنها عيّنة من عشرات الآلاف من العيّنات التي اقترفها المستعمر في حق الجزائريين أثناء الثورة، رواها الكاتب في أسلوب جعلت القارئ يتفاعل معها لأنها جزء من مجتمعه وتاريخه الذي يبقى شاهدا على جرائك الاستعمار وصدق الذي قال: كيف ننسى وهذه جرائمهم ؟.

أما "محمد مخلوفي الجزائري" الأديب والقاص الذي كانت له مساهمة، تحدث في إحدى مساهماته عن الأسرة الشهيدة وهي قصة من واقع الشعب الجزائري أثناء الثورة يصور لنا حال أسرة فقدت الأب في إحدى المعارك وبقيت البنات الثلاثة وأمهم، ولم يجدوا ما يقتاتونه وقد آلامهم الجوع يقول:...الابن الصغير لم يستطع أن ينهض من

فراشه المتبعثر منذ يومين، من جراء الجوع والبرد الشديد، قامت الأم سعاد تجول في البيت تبحث ولو عن قطعة خبز لتعطيها إياه، ولكن حكم القدر بأن لا تجد....سقطت على الأرض تبكي أبناءها الثلاثة وتنعي بعلها ولا مستغيث أو مجيب "، الأكثر من هذا أن الأم وهي تبكي أن أولادها الذين تضوّعوا جوعا وماتوا ولم تستطع أن توفر لهم ولو قطعة خبر يسدّون بها الرمق فإنها تعرضت هي الأخرى لاعتداء من قبل مجموعة مجهولة .إنهم الفرنسيون.لم يسبق لها وأن أبصرت مثل هاته الوجوه، فدافعت عن نفسها وهي تصرخ دفاع المستميت الذي آمن بالهلاك، وأدركت أنها ستموت شهيدة مثل زوجها الذي سبقها للاستشهاد إذا ما أرادت الأذناب بها شرا وسوءا، وهكذا تقدم أحدهم والغيض يملأ صدره، وأراد أن يفعل بها بما سوّلت له نفسه الدنيئة، فامتنعت ودافعت عن شرفها ومجدها الاثيل ولكن الجوع...أفقدها قوتها وصحتها فلم تستطع أن تقاوم أو تدافع، بعدها سقطت سعاد على الثرى جثة هامدة لا تبدي حراكا وراح العدو اللئيم يدوسها وأبناءها برجليه في وحشية (مخلوفي، م،» 1956: 03)

هذه أيضا واحدة من آلاف الحالات، ما تعلق بالجوع وما كانت تعانيه الأسر الجزائرية من فقر وتشرد وجوع والأكثر من ذلك أن الأب الذي كان يعول الأسرة مات شهيدا فداء للوطن، وتحملت الأم الشهمة الأصيلة مسؤولية الأسرة ولكن ما عساها تفعل في ظل الظروف الصعبة، وليت الأمر توقف عند هذا الحد، بل أرادت العصابة الفرنسية أن تنتهك عرض الأم بعد أن بقيت وحيدة بدون بعل لكن شهامتها وعفتها أبتا إلا أن تدافع عما بقي من جهد فهي سليلة زوج أبي مخلص للوطن وهي أظهرت أنها مخلصة للزوج وفارقت الحياة لتلتحق بالرفيق الأعلى، لقد ماتت دون عرضها ونحسبها في الجنة مع الشهداء.

أخيرا وبعد هذا المسح لبعض ما تناولته النخبة الجزائرية في المهجر، نخلص إلى أن الكتابة بشتى أصنافها كان لها دور في تعبئة الجماهير الجزائرية للتمسك أكثر بالعمل الثوري لما يتضمنه من كلمات ذات دلالة قوية.

خاتمة:

ما يمكن قوله بالنسبة للأدب(من شعر ونثر) عموما الذي نظمته النخبة الجزائرية في تونس كان شعرا ثوريا، يقوم بالتعبئة ويدعو إلى التمرد والتحدي ويشجع على الاستشهاد في سبيل الحرية والوطن، كما يعكس الأحداث التي مرت بها الجزائر أثناء الثورة وما عرفته من تحديات دفعت بالشعب إلى التضامن والتعاطف، وهو إرث تاريخي تعتز به الأجيال على مر السنين.

تدخل جميع هذه الكتابات أثناء الثورة فيما يعرف بأدب النضال والذي كان مرآة عاكسة لمختلف الأحداث والتطورات التي عرفتها الثورة، وتعبر أيضا عن آمال الشعب الجزائري ورغباته، بل ومعاناته وصموده في سبيل الحرية والاستقلال،من ناحية أخرى تعتبر إرثا فنيا وثقافيا فعالا ومحركا للواقع ومشجعا على التغيير وسلاحا لتحطيم قيود الاستعمار» (بركات، أ، 1986: 292). أما المناضل فرانز فانون(تعليق رقم 11) يقول :" ...نحن هاهنا أمام أدب كفاح بالمعنى الأصلي للكلمة، ولأنه يحدو الشعب بأسره بل النضال في سبيل الوجود القومي ..."(فانون، ف، 1979: 229)

وعليه استغلت النخبة الجزائرية في تونس العديد من الوسائل الإعلامية منبرا ووسيلة لنشر الوعي السياسي والقومي لدى الجزائريين من الفئة المثقفة التي أجبرتها الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية على النزوح إلى تونس التي احتضنت العديد من الطلبة الذين تحولوا إلى كتّاب وصحفيين ومؤرّخين وغيرهم، استغلوا فرصة وجودهم هناك ليكونوا عونا، بل ورافدا مهما للثورة من الناحية الفنية والأدبية والفكرية مقتنعين بأن الثورة ليست بالسلاح فقط، بل القلم أيضا له دوره ويحقق هدفه المنشود، إنه أدب النضال والمقاومة الثقافية التي دأب عليها مثقفونا ونخبتنا في تونس إبان الثورة ولا سيما بعد 1956، سعيا منهم لتأدية رسالة المجاهد الذي يقاتل في الجبال.

إذا ألقينا نظرة على مجمل الإنتاج الأدبي والفكري الذي ظهر في تونس أثناء الثورة، نجده لا يخرج عن نطاق الوعي القومي الثوري والاعتزاز بالموروث الحضاري

العربي الإسلامي، ورفض قوي وصريح لطروحات الثقافة الاستعمارية ونظرتها ومعاييرها السائدة في شمال إفريقيا.

إن الثورة هنا بالمفهوم الشامل لا يقتصر الهدف منها التخلص من المحتل واسترجاع الحرية، وإنما التخلص من ثقافة المحتل واسترجاع ثقافتنا القومية الأصيلة.

لقد أدى الأدب بجميع ألوانه دورا كبيرا في المقاومة الثقافية ضد الوجود الاستعماري، إذ الثورة وإن كان وقودها السلاح والقتال في الربى والجبال والسهول والوديان إلا أن القلم كان له أيضا مفعوله في إذكاء نار الحمية في نفوس المواطنين للقيام بمهامهم لتحقيق أية قضية قومية أو وطنية أو حتى إنسانية، والجزائريون كغيرهم أيضا أكسبهم أدب الثورة عزيمة ودافعا أكثر للاهتمام بالقضية الوطنية الأولى وهي التحرر، وعليه نقول أن كتابات الجزائريين من النخبة من صحفيين وأدباء في تونس في الفترة الثورية أدى دوره ولمن حيث:

. التعريف بالثورة وتشخيص مساوئ الاستعمار الفرنسي

. الدعوة إلى الجهاد وقتال الأعداء والعمل على التحرر الوطني

. الافتخار بالوطن الجزائري الذي له كيانه وهويته وتاريخه ولا يمكن لأي كان الظفر به أو سلب إرادته

. جعل الأدب وسيلة من وسائل النضال والمقاومة الثقافية في الخارج

- التعاليق:

-**تعليق رقم 01**: جامع الزيتونة(الحداد، ط، 1981: 19. 20) يعتبر من أرفع المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية مكانة بل هو من أقدم المساجد وأشهرها وشهرته لم يكن يستمدها من طابعه الديني فقط بل من دوره العلمي والتضامني الذي اضطلع به، وصار فضاء للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف موضعها وأنواعها منذ القرن الثالث اهجري وتم تنظيمه في عهد الدولة الحفصية التي ازدهر في عهدها التعليم،

فجامع الزيتونة ذاع صيته وأخذ صبغة نظامية ولكن مع مرور الأيام راعه شيء من الفتور استوجب إصلاحه، وخير الدين باشا اهتم بالتعليم الزيتوني وأصدر مجموعة من القرارات ولأوامر لإصلاح التعليم الزيتوني ونظام الدراسة فيه

-**تعليق رقم 02**: مدرسة الصادقية (بن خوجة، محمد، 2008: 312) تم إحداث المدرسة بصدور أمر في يوم13 جانفي 1875 أسسها خير الدين التونسي وتولى إدارتها العربي زروق ق منذ إنشائها إلى سنة 1881

-**تعليق رقم 03:** جريدة الصباح، جريدة سياسية إخبارية جامعة أصدرت أول أعدادها يوم الفاتح نوفمبر 1951 م، قريبة من الحزب الدستوري الجديد ومديرها الحبيب شيخ روحه، تعتبر من الجرائد التي ناصرت الثورة التحريرية منذ انطلاقتها إلى إعلان الاستقلال، واعتبرت نفسها جريدة المغرب العربي كونها كانت تهتم بقضايا المغرب العربي في كل موادها الإعلامية، ما تزال تصدر بتونس إلى يومنا هذا.

-**تعليق رقم 04:** جريدة العمل: يومية تونسية، ناطقة باللغة العربية، تأسست في جوان 1934 تحت إدارة حبيب بورقيبة، ناطقة باسم الحزب الدستوري الجديد، توقفت من قبل السلطات الفرنسية في أوت من نفس السنة، عادت للظهور في 25 أكتوبر 1955 بنفس الخط السياسي، وتحت إدارة حبيب بورقيبة، ثم ترأسها قياديون آخرون بعد تولي بورقيبة الحكم، بقيت تصدر منذ ذلك الوقت إلى غاية 1988 أين توقفت نهائيا.

-**تعليق رقم 05**: جريدة الاستقلال: جريدة أسبوعية سياسية إخبارية جامعة، اللسان الرسمي للحزب الدستوري الحر التونسي القديم، وأصدرت أول أعدادها يوم 30 ديسمبر 1955، وآخر أعدادها صدرت في 22 أفريل 1960 عارضت اتفاقيات الاستقلال الداخلي ومجلة الأحوال الشخصية.....

. **تعليق رقم 06**: مجلة الفكر" تأسست مجلة الفكر في شهر أكتوبر 1955، واكبت الثورة الجزائرية حتى الاستقلال، نشرت إنتاجا فكريا وأدبيا كبيرا عن الثورة التحريرية ولم يقتصر نشرها للأخبار العامة وأخبار المعارك بل تضمنت أنتاجا وافرا من المقالات والقصائد والقصص والمسرحيات وغيرها، ترأس تحريرها محمد مزالي، وكتب فيها

العديد من الجزائريين منهم: الطاهر وطار ومصطفى الاشرف وصالح خرفي ورشيد بوجدرة والجنيدي خليفة وحنفي بن عيسى وعبد الله ركيبي وغيرهم....

- **تعليق رقم 07**: مجالات الكتابة تنوعت من فن المقال: الذي كثيرا ما تضمن دعوة الشباب للتعبئة أو الحديث عن اللاجئين الجزائريين ودور المرأة وأهم ما كتب في هذا الجانب الأستاذ يحي بوعزيز ومحمد الصالح الصديق، ونظم الشعر :الذي يلاحظ في هذا الجانب أن أغلب الشعراء نشروا قصائد حول الثورة أغلب ما نشر من الشعر هو ذاك الذي ينتمي للشعر الحر الذي لا يخضع للوزن والقافية ربما وجوه وسيلة سهلة لتبليغ رسالتهم النفمبرية، ضف إلى ذلك أن بعضهم ليس متخصصا في الأدب وإنما هاو له فقط، بينما الذين انتحوا منحى الشعر العمودي نجد على رأسهم الشاعر الكبير مفدي زكريا و"عبد القادر السائحي" و"صالح خرفي" و"صالح خباشة "، نشر هؤلاء أكثر من سبعين قصيدة، نشر أغلبها في مجلة "الفكر" وجريدتي "الصباح" و"العمل"، ثالثا: الفن القصصي: هذا النوع من الفن الأدبي حظي بعناية كبيرة، بعد قيام الثورة، فتفجرت ينابيع العطاء لدى عدد من الجزائريين في تونس خاصة ويتربع على قائمة القصاصين = الجزائريين في تونس الطاهر وطار الذي نشر 18 قصة ما بين 1956 و1962، أغلب القصص استلهمت أحداثها من الثورة ونجد قصاصين آخرين منهم: عبد الحميد بن هدوقة ومحمد ديب، أبو العيد دودو، نشروها في جرائد "الصباح" و"العمل" ومجلتي "الندوة" و"الفكر" و"الإذاعة" وأخيرا المسرح: الذي تعتبر أعماله قليله التي نشرت بتونس ومن كتبوا في هذا الفن الأدبي قلة ربما كونهم لم يكونوا من رجال المسرح، ومن أبرز تلك المسرحيات مسرحية الباب الأخير لمصطفى الاشرف التي بعث بها من السجن ونشرها في مجلة الفكر في عددها شهر جويلية 1957 وفي سنة 1959 اخرج عبد الله ركيبي مسرحية» مصرع الطغاة" وتعتبر المحاولة الأولى والأخيرة للكاتب ،.و يبقى الطاهر وطار من أكثر الذين كتبوا في الفن المسرحي حيث أنتج سبعة أجزاء لثلاث مسرحيات ما بين 1960 و1962 أبرزها على الضفة الأخرى من ثلاثة أجزاء والأميرة جزأين والهارب

جزأين نشرت كلها في جريدة الصباح وهي مستوحاة من الكفاح والنضال الذي كان يخوضه الشعب الجزائري في المرحلة الأخيرة والحاسمة من تاريخ لثورة.

-**تعليق رقم 08**: ترجم المقال من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية عبد الله شريط في مجلة الفكر

- **تعليق رقم 09**: يذكرني الشاعر والأديب صالح خرفي بما قاله ابن باديس يوما ما :" آه، آه، أيتها الحرية المحبوبة، واشوقاه إليك، بل واشوقاهم إليهم، المحيا محياهم، والممات مماتهم، أنقذ اللهم بهم وطنك، إنني عدو أعداء الحرية، وحبيب أحبابها، سواء أكانوا من أهل البرانيط أو من أهل البرانيس "

- **تعليق رقم 10**: البيضاء هنا يقصد بها الجزائر.

-**تعليق رقم 11**: فرانز فانون(شرفي، ع، 2007، 254 . 255)، ولد في 20 جويلية 1925 وتوفي في 06 ديسمبر 1961 جزر المارتنيك، طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية، خدم خلال الحرب العالمية الثانية ضمن جيش فرنسا الحرة وحارب ضد النازيين، بعدها تخصص في الطب النفسي في مستشفى البليدة جوانفيل في الجزائر، عالج ضحايا كثر وفي عام 1955 انضم إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية، غادر سرا إلى تونس وعمل طبيبا في مستشفى منوبة محررا في جريدة المجاهد كما تولى مسؤوليات منها سفير الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لدى غانا .

قائمة المصادروالمراجع

1. ابن بابا صالح الجزائري، (1957)،» في الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية "، جريدة العمل، ع 641، تاريخ(1957/11/15) .
2. الاشرف مصطفى، (1955)، "الوطنية والأرض في الجزائر"، مجلة الفكر، السنة الأولى ،ع 01،(ص ص 12 . 15)

3. بركات أنيسة، (1985)،» أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 إلى الاستقلال "، مجلة الثقافة، ع 95، الجزائر، وزارة الأعلام والثقافة(ص ص 291 . 301)
4. بن خوجة محمد، (1986)، صفحات من تاريخ تونس ،تقديم وتحقيق، حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحي، بيروت. دار الغرب الإسلامي
5. بن علي عبد الحميد القسنطيني ،(1956)،» نسيم الحرية يهب على الجزائر"، جريدة العمل، ع 60، تاريخ(1956/12/14) .
6. بوعزيز يحي ،(1956)،» ما هكذا نبغي الأدب يا شباب الأدب..."، جريدة الصباح، ع 1543، تاريخ(1956/12/28).
7. بوعزيز يحي، (1962) "مشكلة الثقافة العربية في الجزائر ،ج 2 "، جريدة الصباح، ع 3068، تاريخ(1962/06/21).
8. بوعزيز يحي، (1962)، "مشكلة الثقافة العربية في الجزائر» ج1، جريدة الصباح، ع 3062، تاريخ (1962/06/14).
9. الجابري محمد صالح، (1984)،» من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس والجزائر "، مجلة: الحياة الثقافية، ع 32، تونس، وزارة الشؤون الثقافية.(ص ص 12 . 28)
10. جزائري، (1959)" رسالة جندي جزائري "، جريدة العمل، ع 1049، تاريخ(1959/03/08) .
11. الحداد الطاهر،(1981)، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في الزيتونة، تقديم وتحقيق أنور بوسنينة، تونس، الدار التونسية للنشر .
12. خرفي صالح ،(1962)،» أطلس المعجزات"، مجلة الفكر، السنة 07، ع 05، فيفري،(ص ص 06 . 06)
13. خرفي صالح، (1962)، "نوفمبر "، مجلة الفكر، السنة 07، ع 04، جانفي،(ص ص 20 . 22)
14. خرفي صالح، (1962)،» الحرية في نظر صالح خرفي "، مجلة الفكر، السنة 07، ع 06،(ص ص 42 . ص 48).

15. خرفي صالح، (1962)،» حرية الحرية "، مجلة الفكر، السنة 07، ع 09، جوان، من 48 إلى 53 .
16. سريج محمد ،(2015)» حورنا مع محمد الصالح الصديق في جريدة البلاد» .يومية جزائرية مستقلة .نشر الحوار في خمس حلقات من 12 إلى 15 و17 مارس 2015 .
17. سعد الله أبو القاسم، (1985)، الزمن الأخضر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب
18. شرفي عاشور ،(2007)، قاموس الثورة الجزائرية 1962/1954، ترجمة: عالم مختار، الجزائر، دار القصبة للنشر .
19. شرفي عاشور،(2008)، الكتاب الجزائريون، قاموس بيوغرافي، تع: مصطفى ماضي، الجزائر، دار القصبة للنشر
20. شريط عبد الحق ،(1960)،» شعب الجزائر "، جريدة العمل، ع 1430، تاريخ(1960/05/29) .
21. الصديق محمد الصالح،(1957)، "إلى رجال التحرير"، جريدة الاستقلال، ع 76، تاريخ(05 أفريل) .
22. عصام سليمان الموسى وآخرون، (1997)، أعلام الصحافة في الوطن العربي، الموسوعة الصحفية العربية، ج 6، المجلد 1، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
23. فانون فرانز، (1979)، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الباروني وجمال الاتاسي، ط3، بيروت، لبنان، دار الطليعة.
24. مخلوفي محمد الجزائري، (1956)"الأسرة الشهيدة"، جريدة الصباح، ع 1423، تاريخ(1956/08/10).
25. مفدي زكريا ،(1961)،» ملحمة الجزائر الخالدة "، جريدة العمل، ع 1877، تاريخ(1961/11/02) .
26. مفدي زكريا، (1961)،» هنيئا بني أمي "، جريدة العمل، ع 1891، تاريخ(1961/11/18) مقلاتي عبد الله، (2008)، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، الجزائر، منشورات بلوتو .

27. ناصر محمد ،(1985)، "شعر الثورة من جانبه الفني"، مجلة الثقافة، ع 86، الجزائر(ص ص 127. 150)
28. ناصر محمد، (1985)، "شعر الثورة من جانبه الفني"، مجلة الثقافة، ع 86، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة.(ص ص 127. 149)
29. وطار الطاهر، (1956)" الدموع الخالدة "، جريدة الصباح، ع 1408، تاريخ(1956/11/17) .